الإحلام والروح

قرأت في مقتطف يونيو سنة ١٩٤٥ تحت هذا العنوان ما كتبه حضرة الفاضل الاستاذ نقولا الحداد تعليقاً على ما نشره المقتطف لي تحت نفس العنوان في عدد ابريل . وكل ما كتبه معروف لا جديد فيه لأنه ترديد للآراء المادية التي سادت عقول العلماء في القرن التاسع عشر والتي اندثرت اليوم إزاء الفتوح الحديثة في العلم . والظاهر أن حضرة الكاتب الفاضل لم يصل إلى علمه بعد أن الكون المادي قد تبخر حتى في ضوء علم الفيزيقا الحديثة . وإخاله لم يقرأ لأينشتاين كتابه « تطور الفيزيقا » الذي ألفه بالاشتراك مع العالم إنفلد ، ولا كتاب « الفيزيقا والفلسفة » لمؤلفه العلامة جينز ، ولا كتابي « طبيعة العالم الفيزيقي » و « المسالك الجديدة في العلم » لمؤلفهما العلامة أدنجتون . فلقد نادى هؤلاء العلماء الأعلام في كتبهم تلك بانهيار المذهب الآلي القائل بأن الكون فطروا الكون المادي تحطيماً . وإخاله كذلك لم يقرأ رأي اينشتاين الأخير في الأثير ، ففي محاضرة له عن « الأثير والنسبية » وضح موقفه فقال : —

« أعود فأقول إنه تبعاً لنظرية النسبية العامة يكون الفضاء قد وهب صفات فيزيقية ، وفي هذا المعنى يوجد أثير . وتبعاً لهذه النظرية العامة لا يمكن تخيل الفضاء بغير أثير ، لأنه في هذا الفضاء لا يتعذر انتشار الضوء فحسب ، بل يستحيل وجود معايير للفضاء والزمن (قضبان قياس وساعات) ، ولا توجد من ثمت أية فترات فضا زمنية بالمعنى الفيزيقي . ولكن هذا الأثير لا يصح أن يُظن أنه قد وهب الصفة المميزة للاوساط التي يمكن أن ترزز باعتباره متألفاً من أجزاء يمكن تتبعها خلال الزمن . أما فكرة الحركة فلا يمكن تطبيقها عليه » .

ومحاضرة اينشتاين هذه مطبوعة .

وإخال الأستاذ نقولا الحداد لم يسمع أيضاً بذلك « العلم الروحي الحديث في الجامعات » ويكفي أن ألفت نظره الى كراسي أنشئت له في جامعة بون بألمانيا ، وفي جامعة كمبردج بانجلترا ، وفي عشرين جامعة في أميركا . وقد يسره أن يعلم أن هذه الدراسة الروحية قد

أنشئت في كمبردج سنة ١٩٤٠ . ويشرف عليها العلامة الدكتور بروض أستاذ الفلسفة فيها ، وأن منهج الرياضة هو : —

« حصر الظواهر العقلية أو الجسمانية التي تبدو لأول وهلة كأنها تشير أولاً الى وجود قوى معرفة أو فعل خارقة للعادة في بني الانسان خلال حياتهم الراهنة ، وثانياً الى بقاء عقل الانسان بعد الموت الجسماني » . أي أن أساس البحث هو من جهة القوى الوساطية ومن جهة أخرى بقاء الشخصية والوعي بعد الموت .

ولو شئت حضرة الاستاذ نقولا الحداد إلى جامعة لندن لرافقه أو راعهُ أن يُرى فيها حجرة لتحضير الأرواح هي الأولى من نوعها في الجامعات ، وقد جهزت بأحدث الأجهزة العلمية الدقيقة . ولكنه قد يرى صورة لهذه الحجرة في كتاب « خمسون من سني البحث الروحي » الصادر سنة ١٩٣٩ لمؤلفه العلامة هاري پرايس سكرتير مجلس جامعة لندن لبحوث الروح .

فليس في الأمر إذن دعاوى جزافية ساذجة وما إلى ذلك من بديع الحجج المادية ، وإنما هناك علم تعجز عن إدراك العقول المتشبثة بالمادة حتى بعد أن حطم العلم الحديث الكون المادي .

ومع كل هذا لنفرض جدلاً صدق ما ينادي به حضرة الأستاذ نقولا الحداد ، ونرجوه أن يعلل لذلك الحادث الذي أثار هذا النقاش وهو الحادث الخاص برفعة حسين فانه يؤكد له انه حادث حقيقي ، وقد رددته أخيراً مجلة « الدنيا الجديدة » في عددها الصادر بمدينة نيويورك . نعم فليعلل له في ضوء معلوماته ان استطاع . وهو لن يستطيع . وليبتعد عن ذكر الوهم والخرافة لأن ذلك لا يتضمن برهاناً ، وليجتنب التكرار فان « معاداة المعادات » أمر معروف .

وبقي أن أقول اني لم أتضمن مقالي الأول شيئاً قلت عنه إنه « وراء الطبيعة » لأنه لا يوجد شيء وراء الطبيعة ، وإنما هناك قوانين الله الأزلية الطبيعية ، وهذه تنكشف اليوم بعد اليوم للعقل العلمي الفاحص وعلى قدر ضعفه . والروح مادة لا تستجيب لها المشاعر ، وقد وصل العلم الى تصويرها بالفوتوغرافيا والأشعة تحت الحمراء ، والى وزنها كما وصل الى تصوير سيول الكهارب المختلفة والى وزنها ، ولا يخفى أن تلك الكهارب مادة لا تستجيب لها المشاعر مع أنها أساس المادة المحسوسة ، وهي اللبنات التي منها يتألف الكون المادي المنظور .

احمد فهمي أبو الخير

مدير السينما التعليمية بوزارة المعارف